المحاضرة الثانية

. ثورة الشريف بوبغلة١٨٥١/٢٦ ديسمبر ١٨٥٤

بعد استشهاد الشريف بومعزة ظهر زعيم آخر بنفس المنطقة هو الشريف بوبغلة الذي قدم نفسه كصنوانه الأشراف (محمد بن عبد الله)، واسمه الحقيقي هو محمد الأمجد بن عبد المالك، أما أصله أو جهته فمحل خلاف المصادر التاريخية، بعضها يقول أن أصله من تافيلالت فيدعونه بالمغربي، والبعض ذكر أنه كان صبائحيا بمليانة، وقيل كذلك انه سجين قديم فار.

إستقر الشريف بوبغلة بمنطقة سور الغزلان بعد زواجه، ثم انتقل الى نواحي عزازقة لكسب الأنصار ونشر دعوة الجهاد، وتشير المصادر إلى أنه كان خطيبا مؤثرا، وسياسيا محنكا ذكيا، استطاع أن يجمع حوله زعماء قبائل زواوة وطلبة الزوايا، وأعد العدة لإعلان الجهاد، وفي سوق ايجار عقد بوبغلة اجتماعا كبيرا للمبايعة وإعلان الجهاد، فبايعه الناس وأغلب زعماء قبائل زواوة.

ويظهر من كثافة حركته وتزايد نفوذه أنه شكل خطرا حقيقيا على التواجد الفرنسي بالمنطقة، فقد شن حملة لاذعة على المتعاونين مع الإدارة الفرنسية، فهاجم مثلا ابن علي الشريف بزاوية شلاطة في مارس ١٨٥١.

وكان بوبغلة يخطط لتخليص بجاية من الحامية الفرنسية، فنسق جهوده وعبأ قوة هائلة لاقتحام المدينة في ديسمبر ١٨٥٠، لكنه فشل في ذلك وفضل أسلوب المناوشة، فتراجع بقوته إلى بني مليكش لتوسيع دائرة الثورة بها، وهاجم خط المواصلات الرابط بين سطيف وبجاية، وقد شن يوم العاشر ماي ١٨٥١ هجوما كبيرا على مدينة بجاية، ولولا النجدات التي وصلت الفرنسيين عن طريق البحر لسقطت بجاية في يد بوبغلة، وأعاد بعدها بوبغلة تنظيم جيشه وتلقى الطاعة والمعونة من السكان، ودخل مع الفرنسيين في حرب كر وفر مما أربك الجنرال "هوت بول" الذي إقتنع بضرورة تتبع بوبغلة والانتقام من القبائل التي يتصل بها، وتشجيع المتعاونين معها على محاربته.

وقد عسكر بوبغلة في الضفة اليمنى لوادي بوسلام ودخل في مواجهات مع القوات الفرنسية التي كان يقودها الجنرالات: بوسكي، كامو، راندون، وقد قدر هذا الأخير عدد رجال بوبغلة خلال هذه الفترة بأربعة ألاف رجل، في حين قدرهم "بوسكي" بستة ألاف رجل.

للانتقال انتهت المواجهات في بوسلام بسيطرة الفرنسيين على المنطقة واضطر بوبغلة إلى حوض الصومام فانتصرت له قبائل بني صدقاء وقشتولة والمعاتقة وبني عباس، وتحول بوبغلة بين مختلف قبائل سباو داعيا للجهاد، وتمكن أن يدفع قبيلة معاتقة للثورة على الفرنسيين، وأن يحقق انتصارات في المعارك التي خاضها ضد قوات النقيب "بوشو Pechot " (معركة بوغني في ١٨ أوت ١٨٥١)، وهذا ما ساعد بوبغلة على العودة بقوة

إلى المنطقة وعلى تزعم مقاومة عارمة ضد الفرنسيين وأعوانهم، وردا على ذلك كلف الحاكم العام الجنرال "كوني" قائد مقاطعة الجزائر "بوشو" بشن حملة عسكرية على بوبغلة وإعادة الاعتبار لفرنسا وطمأنة القبائل الموالية لها، وجرت معارك بعين فاسي بين تيزي وزو والناصرية " تنظيم حملة Pelissier كانت الغلبة فيها لبوبغلة(i)، وقرر اثر ذلك الحاكم العام "بليسي عسكرية كبرى لإنهاء تمرد بوبغلة، وقد اتبع سياسة الأرض المحروقة في الهجوم الذي قاده على قبائل فليسة وقشتولة ومعاتقة، وقام بمحاصرة المنطقة وتدمير وحرق القرى وإجبار القبائل على الاستسلام في أواخر نوفمبر عام ١٨٥١.

وفي بداية عام ١٨٥٢ عاد بوبغلة بقواته إلى وادي الساحل، واستقر وسط قبيلة آيت وعمر ينظم الصفوف، ثم انتقل بقواته إلى بني منصور وضم إليه قبائل بني وغليس، وحاولت السلطات الفرنسية بكل السبل ثني السكان عن مساندة بوبغلة، وتمكنت من أن تكسب إلى جانبها أحد أنصار بوبغلة وقادة الثوار وهو سي الجودي، وشكل ذلك ضربة موجعة للمقاومة، لكن بوبغلة وبعزيمة لا تفتر ظل يتنقل بين مختلف المناطق وقد عاد مرة أخرى إلى شمال جرجرة وخاض عدة اشتباكات ضد قوات "بوبريتر" في منطقة واضية، أصيب في إحداها بجروح، وفي نهاية جويلية ١٨٥٢ عاد بنشاط لمهاجمة القوات الفرنسية وأعوانها في منطقة أقبو، ولكن نشاط الثورة بدأ يفتر بعد ذلك.

وفي عام ١٨٥٣ استمرت ثورة بوبغلة بين مد وجزر، وعلى الرغم من وقوع بعض المعارك العنيفة إلى أن أغلب المواجهات التي خطط لها بوبغلة كانت هجومات خاطفة

وكمائن طالت القوات الفرنسية وأعوانها، وقد قرر الحاكم العام "راندون" غزو جبال جرجرة بقوات إضافية وبتعاون مع باشاغات المنطقة كابن علي الشريف، وبلقاسم أوقاسي، ورسم بنفسه خطتها، رأى أن يرسل فرقتان عسكريتان، الأولى من وادي Randon"راندون" الساحل والثانية من ذراع الميزان، وتلتقي الفرقتان في بني يحي بوسط جرجرة، ثم تتحد في إخضاع الجيوب المتبقية.

وخلال عام ١٨٥٤ انحصر نفوذ بوبغلة في جهة بني مليكش بعد أن ضعفت قواته واستسلم كثيراً من أتباعه، وظل يجتهد في تجنيد القبائل للثورة من جديد، وقد تمكن في ربيع تلك السنة من تجنيد بني يجار وبني جناد وفليسة لخوض ثورة عارمة، وقاد بوبغلة معركة عزازقة يوم السابع أفريل ضد الباشاغا بلقاسم أوقاسي والقوات الفرنسية، حقق فيها انتصارا باهرا، وهو أمر أثار حفيظة السلطات الفرنسية التي أرسلت قواتها في هذا العام للمشاركة في حرب القرم.

وقد قرر الجنرال "راندون" في ماي ١٨٥٤ تنفيذ خطته الهجومية على بلاد القبائل، واستعان بقائد قوات قسنطينة "ماكماهون" وقائد قوات العاصمة "كامو"، وعلى أن تلتقي الجيوش الثلاث بتيزي وزو بعد أن تطهر كامل المنطقة، وأكد "راندون" على ضرورة إنهاء الثورة باستعمال كل الأساليب الممكنة، وإجبار الأهالي على الطاعة، وخاض حرب إبادة وحشية اعتمدت القتل والحرق والتهديم، وقد أبدى سكان القبائل بقيادة بوبغلة استماتة كبيرة في الدفاع عن أرضهم والتصدي لأساليب القمع المسلطة عليهم من قبل جنرالات

فرنسا، وواجه بوبغلة القوات الفرنسية أينما حلت لكنه تعرض لهزائم كبيرة، وقد وجد في لالا فاطمة نسومر قوة معنوية هامة رغم أنه لم يكتب له أن يحقق معها زواجاً سياسيا، ولما ضعفت مقاومته انتقل الى بني مليكش الذين ترجوه أن يعود إليهم، وواصل نشاطه الثوري من هناك إلى أن قتل يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٥٤ غدراً في كمين دبر له ببني عباس، وقيل. إيهاما. أنه سقط في معركة خاضها مع أعوان لخضر المقراني.